صراع الأجيال... أطروحة صهرتها ثورات الربيع العربي؟

Did the Arab Spring revolutions wipe the generational conflict issue out?

أ. د/ عبد الرزاق أمقران

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف2، amokrane60@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2023/05/18 تاريخ القبول: 2023/06/05 تاريخ النشر: 2023/06/30

ملخص:

حاولت الدراسة الكشف تحليليا عن العلاقة المفصلية التي تربط بين أطروحة صراع الأجيال وثورات الربيع العربي من خلال اعتماد فرضية استكشافية مفادها أن حالة الثورات في عدد من المجتمعات العربية تسببت في ضعف الأفكار الصراعية بين الأجيال وانصهار الأطروحة الصراعية في المد الثوري اتساقا مع ما أملته السياقات من ضرورات التنسيق والعمل الجماعي الذي يهدف إلى إسقاط الأنظمة المستبدة. أما الشق الثاني من الفرضية فاهتم بالمظاهر المحتملة لعودة صراع الأجيال بعد سقوط الأنظمة والشروع جماعيا في التفكير في المسارات المؤدية للبناء الديموقراطي.

الفرضية الموضحة أعلاه استلزمت العمل بمنهجية دقيقة تتوخى التركيز الشديد ومتجنبة الإطناب النظري الذي لم نستحضر منه إلا ما كان ضروريا. ثلاثة ترتيبات رئيسة حددت منهجية الدراسة وهي:

– اختيار ثلاث دراسات رأينا فيها أهمية وجدوى وعاملناها كأطر مرجعية لهذه الدراسة.

– استخلصنا من الدراسات الثلاث العناصر التحليلية التي سمحت بمناقشة مظاهر انصهار صراع الأجيال، وعودة مظاهره.

– قمنا بتطعيم المناقشة الخاصة بمظاهر اختفاء الصراع وعودته بإحالات نظرية.

كلمات مفتاحية: الثورات العربية؛ الربيع العربي؛ صراع الأجيال.

Abstract:

The paper tries to analytically reveal the probable existing links between the generations conflict thesis and the Arab spring revolutions guided by a specific hypothesis stating the following: The state of revolutions in some Arab countries made the ideas related to conflict of generations much less apparent and influential. The political generations taking part in the popular upheavals had no other

alternative than to gather their resources and coordinate their efforts in order to step the established regimes down. But, this positive aspect had not last long. The path to build a new different regime seemed to present a very demanding challenge. The political forces were unable to leave away their everlasting ideological specifities, thus, failed in their efforts to work collectivelly. Consequently, this state gave birth once more to the conflict of generations with traditional dimensions but also with new ones.

We thought about an appropriate methodology to tackle the above described hypothesis that can be presented as follows:

- Our choice went to three studies that we considered as bieng relevant to the present paper and taken as a framework.

- Some analytical components were derived from the three studies and exploited in defining the aspects of generations conflict in both stages, their absence and their presence.

- We developped the arguments by including a number of citations taken from different studies written by well-known Arab thinkers.

Keywords: Arab revolutions; Arab Spring; Generational conflict.

* **المؤلف المرسل**: أ.د/ عبد الرزاق أمقران، **الإيميل**: amokrane60@hotmail.fr

1. مقدمة:

كانت ثورات الربيع العربي ولا تزال مادة خصبة تتيح التفكير فيها من مقاربات شتى ومن زوايا بحثية متعددة وثرية، وما أطروحة صراع الأجيال إلا إحدى دروب البحث في عملية الانتقال الديمقراطي في تلك البلدان التي خبرت تلك الثورات.

ثورات الربيع العربي في لحظتي الانفجارات الكبرى ثم في لحظة المرحلة الانتقالية، كشفت حضور أجيال أسهمت فيها بما تحمله من تمثلات وبما وفرت من ترتيبات التحرك والتأثير، وهي في مسعاها تجتمع فتنسى ظرفيا خصوصياتها تغليبا لجهود التنسيق وفي سبيل تحقيق الأهداف الموحدة، لكنها أيضا تتفرق تغليبا لما هو متأصل فيها وتعزيزا لما ناضلت من أجله قبل حدث الثورات.

من هذا المنطلق وجهت دراستنا فكرة بسيطة افترضت أن السياق الثوري الذي عاشته مجموعة من البلدان العربية خفف من حضور فكرة الصراع بين الأجيال، بل ذهبنا حتى افتراض انصهارها بحكم توافر شروط العمل الجماعي الذي يستهدف إسقاط الأنظمة المستبدة، افتراض رأينا فيه اتساقا مع خصائص مرحلة الانفجارات الأولى للثورات وما أعقبها من جهود لفهم ما يحصل.

لكن، التفكير في مسارات الثورات ومآلاتها قادتنا إلى الشق الثاني من الافتراض والذي يبحث في عودة صراع الأجيال إلى المشهد حينما حاولت الأطراف الصانعة للحدث الثوري الإجابة على السؤال المصيري: ماذا بعد؟

التعامل مع ذلك السؤال وإن تم بترتيبات جماعية، فإن الأجيال كلها انتهجت وسائل المغالبة والمكابرة لتضمن لنفسها حضورا في مرحلة ما بعد الثورة فعادت لغة الأيدولوجيات والانتماءات وبرزت حتى ممارسات هي من صلب اللحظة مثل تغليب شرعية على شرعية وكذا التخوين والتكفير.

كان همنا في إنجاز هذه الدراسة هو اقتراح زاوية بحثية ليست مألوفة في دراسة التحول الديمقراطي في المجتمعات العربية وما هو جديد دوما يواجه مشكلات بنائية تلح على الباحث باستمرار تفادي الإطناب النظري المتوافر في الموضوع حتى لا يكون العمل نسخة لما سبقه من أعمال، ومن جهة أخرى تضغط تلك المشكلات باتجاه تقديم أفكار جديدة مقبولة حتى وإن كانت قليلة، وقد حاولنا قدر الإمكان الإيفاء بالشرطين.

1.1. تنويهات ضرورية:

ارتأينا تقديم جملة من التنويهات تسمح للقارئ فهم قضايا تضمنتها المقالة، وإن بدت واضحة للباحث تبقى مصدر غموض ولبس لمن كان بعيدا عن مجريات إنجاز الدراسة تفكيرا وتنفيذا.

– كثيرة هي المؤلفات التي تصدت بالبحث والتحليل لأطروحة صراع الأجيال وكذا لثورات الربيع العربي ولم نوظف منها إلا ما كانت الحاجة إليه كبيرة. الدراسة في اعتقادنا لا تندرج تماما في خانة الدراسات المهتمة أساسا بالثورات العربية بالزخم النظري المعروف عنها والمقاربات المنهجية المتبعة في رصد توجهاتها وتبعاتها. الدراسة أيضا ليست دراسة صرفه في صراع الأجيال فتضاف إلى ما هو موجود. الدراسة باعتقادنا تأخذ

من هذا وذاك بالجرعات الضرورية دون أن تتحول إلى نسخة للأعمال السابقة. وعليه، فإن التركيز الشديد الذي اتسمت به كان مقصودا وأعتقد متحكم فيه.

– تعمدنا أن ننقل "هلامية" المفاهيم الحاضـــرة في أدبيات الثورات العربية وأطروحة صـــراع الأجيال إلى الدراســة التي أنجزنا دون تصــرف منا ونظرنا إلى الأمر إجرائيا، بمعنى أن كل المفردات وظفت بنفس الدلالة حتى وإن اختلفت دلالاتها في الســياقات التي وظفت فيه حينما ظهرت تلك الأدبيات. فمثلا، حضــرت مفردات الثورة، المد الثوري، الاحتجاجات الشــعبية، الحراك لتعني بالنســبة للدراســة الأمر عينه هو ســعي الشعوب والجماهير لتغيير الأوضاع المعيشة من حالة بائسة إلى حالة أفضل وذلك من خلال إسقاط أنظمة مستبدة كانت سببا لكل ما طالها من ظلم وحيف واستبدالها بأنظمة تأمل أن تكون في مستوى توقعاتها وطموحاتها.

من الواضح أن هذا الإجراء المقصود له مخاطره وعلى رأس المخاطر أن تسبح الدراسة في قضايا دون محددات من المفروض أن يضمنها التحديد الصارم للمفاهيم. على أية حال تبقى المسألة جدلية.

– الطبيعة البنائية للموضــوع الذي أنجزنا بحقه الدراســة والتركيز الشــديد الذي توخته جعلت من حضــور الباحث في المقالة أكثر من حضـــور المراجع ومن خلالها الكتاب والباحثين الأخرين. عادة هذا أمر حميد يشجع عليه الباحثون، لكن لا نعلم بالتدقيق هل وفقنا في كذا تصور في حالة دراستنا.

– ألحقنا علامة استفهام بعنوان المقالة بعدما كان خاليا منها حتى نضمن الاتساق بين الخط العام للمقالة والعنوان، الأمر الذي أملته في الحقيقة مكونات نظرية وشـــواهد ميدانية توحي بأن فكرة صـــراع الأجيال يتوجب التقرب منها مرحليا بصيغ الاحتمال وليس بصيغ الحقائق الحدية في عالم شديد التغيير.

– أدرجنا بعد عرض كل دراسة من الدراسات الثلاث المحددة للأطر النظرية لدراستنا محورا تضمن العناصر التحليلية التي استخلصناها منها والتي استحضرناها في رصد مظاهر انصهار أطروحة صراع الأجيال في المراحل الأولى من ثورات الربيع العربي ومظاهر عودتها وتأججها بعد سقوط الأنظمة المستبدة والشروع في ترتيبات البناء الديموقراطي.

2.1. فرضية الدراسة:

انبنت الدراسة حول فرضية وجهتنا في قراءة أدبيات أطروحة صراع الأجيال وكذا أدبيات ثورات الربيع العربي ومقاربة الشواهد الميدانية العديدة والمختلفة التي أفرزتها الحركات الشعبية العارمة ومن ثم مآلاتها بعد سنوات من حدوثها.

افترضنا بأن أطروحة صراع الأجيال ما كان لها أن تصمد أمام المد الثوري الذي خبرته مجموعة من البلدان العربية بداية من سنة 2011 وما كانت لتستمر بالحضور في المشهد العربي بنفس المضامين والغايات التي ارتبطت بها في الفترات السابقة للثورات.

الحركات الاحتجاجية العارمة أو الثورات، وان قادها جيل الشباب خاصة في المدن في المنطلق، فقد التحق بها مباشرة بعد الشرارات الأولى جميع الشرائح الاجتماعية باختلاف أطيافها السياسية ومشاربها الاجتماعية وأصولها الاجتماعية، ويبدو من السخافة الفكرية بمكان التركيز على دور جيل وابرازه على حساب أجيال أخرى طالما كان الهدف واحدا وموحدا للجميع وهو إسقاط الأنظمة المستبدة.

إسقاط الأنظمة المستبدة أقنع الجميع بعد انطلاق الثورات بأن لا خيار متوافر غير خيار تضافر الجهود لتحقيق ذلك مع تجميد خصوصيات كل طرف حتى لا تطفو على سطح الحركات فيحدث الانشقاق مبكرا ويفلت الهدف الذي ثار من أجله الملايين.

أما الشق الثاني من الفرضية فينسحب على الفترة الانتقالية التي أعقبت سقوط الأنظمة والتي واجه فيها الجميع سؤال: ماذا بعد؟

الفترة الانتقالية التي لاتزال مستمرة في البلدان التي عاشت الثورات كشفت عمق الهوة الفاصلة بين جميع الأفرقاء الذين أسهموا في التخلص من الأنظمة المستبدة. كشفت أن صراع الأجيال الذي توارى أثناء وهج الثورات لم يكن إلا تكتيكا اعتمده الكل بانتظار ما ستسفر عنه الجهود والتضحيات الجماعية. المسارات الجماعية التي فكرت في آليات وترتيبات الانتقال نحو النظام الديموقراطي أجبر الكل على الخروج من القوقعة وعليه عادت بقوة الطروحات السائدة قبل الثورات فكثرت خطب التهم والتخوين وعدم الكفاءة، بل أيضا السطو على الثورات ومحاولة إقامة أنظمة بديلة لا تقل استبدادا من التي أسقطت.

3.1. منهجية الدراسة:

الفرضية المبينة أعلاه، استلزمت العمل بمنهجية دقيقة ومتزنة حصرت الموضوع في مسار تجنب بشكل كبير الإطناب في قضايا نظرية مرتبطة عموما بأطروحة صراع الأجيال من جهة وبالثورات العربية من جهة أخرى-قضايا لا شك أنها تملك أهمية في سياقات بحثية أخرى-متوخيا التركيز على قضايا متاحة هي مقاربتها بما توافر من عناصر التحليل.

وقع اختيارنا على ثلاثة أعمال وقفنا على جدواها في تفسير انصهار أطروحة صراع الأجيال ظرفيا أثناء فترة الثورات وعودتها بعد خمودها، ولا شك أن هناك أعمال أخرى تكتسي نفس الأهمية، لكن المجال حتما لا يتسع العمل بها كلها كأطر مرجعية للدراسة.

تكمن جدوى الأعمال الثلاثة في كونها تمد الباحث بعناصر تحليلية قوية تتيح قراءة الأحداث بموضوعية وتمهد له سبيل الوصول إلى استنتاجات عامة أو نتائج، والأعمال هي:

1-ناصر جابي: مأزق الانتقال السياسي في الجزائر: ثلاثة أجيال وسيناريوهان.

2-كمال عبد اللطيف: ما بعد الثورات العربية: زمن المراجعات الكبرى.

3-عمرو عثمان، مروة فكري: المثقف العربي ومتلازمة ميدان تيانانمن.

تستعرض الدراسة مضامين الأعمال الثلاثة بشيء من الاختصار ثم تستخلص من كل عمل العناصر التحليلية التي وظفت في إبراز مظاهر الانصهار الظرفي لأطروحة صراع الأجيال أولا، ثم إبراز مظاهر تأجيج الأطروحة ثانيا.

2. عرض مختصر للأطر النظرية:

1.2. ناصر جابي: مأزق الانتقال السياسي في الجزائر: ثلاثة أجيال وسيناريوهان:

1.1.2. عرض الدراسة:

انبنت دراسة الباحث الجزائري حول فرضية مؤداها أن الانتقال السياسي في الجزائر ستسهم فيه ثلاثة أجيال سياسية وسيشهد الانتقال هذا سيناريوهان محتملان، أحدهما إيجابي والثاني سلبي.

يترجم السيناريو الإيجابي انتقالا سياسيا سلسا بين الجيل الأول والجيل الثاني، أي بين الجيل الذي قاد ثورة التحرير وأنجز الاستقلال الوطني واستمر في السلطة إلى وقتنا الحالي، والجيل الذي ولد في السنوات الأخيرة من حرب التحرير وبدايات الاستقلال. وبالرغم من الاختلافات الجوهرية بين الجيلين فهما يحملان احتراما لبعضهما ويعرفان بعضهما جيدا الأمر الذي يرجح فرضية انتقال السلطة بينهما بشكل هادئ.

أما السيناريو السلبي، السيناريو العنيف فيجسده انتقال السلطة من الجيل الأول إلى الجيل الثالث الذي يتمايز بتنشئة سياسية مختلفة وتربى في مرحلة أصاب مشاريع الدولة الوطنية الضعف والإعياء. هذا الجيل قاد الحركات الاحتجاجية وجاهر برفضه للفئات الحاكمة ومؤسساتها.

أولا– خصائص الأجيال الثلاثة:

***–الجيل الأول: جيل الثورة وبناء الدولة الوطنية.**

– افتك الاستقلال وبنى الدولة الوطنية.

– عمر طويلا من الناحية السياسية وعاش لحظات مفصلية في تاريخ الجزائر السياسي.

– عاش في أحضان الفكرة الوطنية بكل خصائصها الجزائرية المعروفة.

– ارتبط دوره بعد الاستقلال بتسيير الدولة فجعل القطاع العمومي محورا للتنمية.

– كان على رأس المستفيدين من التسيير الريعي للدولة الوطنية واقتصادها المسير مركزيا.

– فرض الأحادية السياسية وانغلق على نفسه بالرغم من كل التحولات التي مر بها المجتمع الجزائري.

– يرفض الابتعاد عن السلطة وهو دوما في حالة شك إزاء قدرة الأجيال الأخرى على استلام السلطة وتسيير البلد.

***–جيل الاستقلال والبناء الوطني.**

– نال واستفاد من فرص التعليم الواسعة.

– ولد في المدينة لتي ستكون الفضاء الذي كشف عيوب التسيير وفضاء المواجهة مع السلطة الحاكمة.

– تكفل بالتسيير الاقتصادي والاجتماعي دون الوصول إلى مراكز القرار السياسي.

– هو في علاقة مباشرة مع الجيل الثالث الذي يسيره في شتى القطاعات.

– الجيل الوحيد الذي يملك علاقات مباشرة مع الجيلين الأخرين.

– يمارس النقد تجاه تسيير الجيل الأول لكنه لا يثور عليه.

– لم يتعود على المبادرة السياسية المستقلة.

***–الجيل الثالث: جيل الفعل المباشر والحركات الاحتجاجية.**

– ولد في عز المشاكل التي تخبطت فيها الدولة الوطنية.

– ضحية الانتكاسة في سير المشروع الوطني.

– يرفض الانخراط في المؤسسات الرسمية بما فيها الأحزاب السياسية.

– يمارس العنف الفردي والجماعي ضد جيل الثورة.

– عبر عن طموحاته ومطالبه من خلال الاضرابات من داخل المصانع.

ثانيا– نظرة الأجيال لبعضها:

يعد الاحتكاك اليومي عاملا مهما ومحددا لنظرة الأجيال الثلاثة بحق بعضها وهذا في الغالب كان له الأثر في تشكل النظرة الايجابية. فالجيل الثاني المكلف بالتسيير الاقتصادي والاجتماعي ولأنه يتواجد دوما مع الجيل الأول في نفس المؤسسات ويعمل تحت إمرته وتوجيهاته، يحمل مقدارا من الاحترام والتقدير لجيل الثورة مانحا له الاعتراف لما قدمه من جهود وتضحيات في بناء الدولة الوطنية.

أما الجيل الثالث ولأنه لا يحتك بجيل الثورة ويرفض الانخراط في المؤسسات الرسمية التي يهيمن عليها ولا يعرف منه إلا كونه جيلا يتغنى بالشرعية الثورية ويوظفها باستمرار كورقة للبقاء في الحكم وبالتالي

الاستحواذ على مزيد من الامتيازات في ظل اقتصاد ريعي مسير مركزيا، يبقى يحمل نظرة سلبية جدا للجيل الأول.

ومن جهته، ينظر جيل الثورة إلى الجيل الثالث كجيل "عاق" مشـــكوك حتى في وطنيته ولا يملك النضـج والوعي الذين يسـمحان له بولوج تسـيير دواليب الدولة. تعاظمت الصـورة السـلبية هذه خاصـة في تسـعينيات القرن الماضـي حينما التحقت أعداد كبيرة من الشـباب بالجماعات المسـلحة وتم توظيفهم في اغتيال العديد ممن شارك في حرب التحرير واغتيال كوادر الجيل الأول.

تختفي هذه النظرة السلبية المتبادلة في حالة الجيل الثاني والثالث ولا تتسم العلاقة بينهما بالصـدام الفكري والسـياسـي ولا تتعدى التشـنجات بينهما النزاعات ذات الطبيعية المطلبية المرتبطة غالبا بالظروف المعيشية.

هنا أيضا عامل الاحتكاك هو الذي يحدد طبيعة العلاقة. يتواجد الجيلين في الكثير من المؤسسات والعلاقة بينهما تشـــبه علاقة "المســـتخدم" و"الأجير". لم تتحول العلاقة إلى علاقة عنفية بالرغم من السـياسـات الليبرالية التي أدت إلى غلق المصـانع وتسـريح العمال وإحالة الآلاف إلى البطالة. بقت النظرة إيجابية بالرغم من أن الجيل الثاني راكم ثروات هامة بعد أن انتقل الكثير من عناصـــره إلى القطاع الخاص مستفيدا من تسييره للقطاع العمومي لفترة طويلة.

2.1.2. تعقيب:

استخلصنا من دراسة ناصر جابي العناصر التحليلية التالية:

– يمكن التعامل مع الجيل كرافد لمضـامين سياسـية أسـاسـا ويجر معه المضـامين البيولوجية والسـوسـيولوجية. هذا التحديد له أهميته في دراسة صراع الأجيال الذي لا يقتصر على النظرة الضيقة التي تختصر فكرة الصراع في المواجهة الدائمة بين جيل "الشباب" وجيل "الكبار".

– خصـــص الباحث حيزا للتحدث عن ما أسماه كارل مانهايم اللحظة الجيلية، والتي هي التجربة الجماعية التي يعيشـها الجيل في زمن معطى تسـمح له بترسـيخ تمايزه أو يبحث من خلالها على التمايز عن الأجيال الأخرى. العنصر التحليلي هذا سمح لنا بطرح فكرة اللحظة الجيلية الجماعية والجامعة.

– طرح ناصر جابي عنصر الاحتكاك بين الأجيال وحصره في المؤسسات التي تحتضن الأجيال المختلفة ورأى في هذا العامل عاملا إيجابيا يعزز النظرة الإيجابية التي يحملها كل جيل تجاه الأخر، وغياب الاحتكاك يجر الأجيال إلى الصدام وحتى الصدام العنيف.

عنصر الاحتكاك المباشر بين الأجيال في الفضاءات المادية قاد الدراسة نحو التفكير في النسخ المطورة لمفهوم الاحتكاك ورأينا في التوافقية في الفكر فكرة جديرة بالتوظيف في حالة صراع الأجيال.

2.2. كمال عبد اللطيف: ما بعد الثورات العربية: زمن المراجعات الكبرى:

1.2.2. عرض الدراسة:

قدم المفكر المغربي قراءة للطور الانتقالي الذي تعيشه البلدان العربية التي عاشت الثورة وتحديدا مصر وتونس، مبرزا محورين أساسيين يهتمان بالخطابات والاستقطابات التي تلت الانفجارات الأولى وتعمقت بعد ذلك، وعرض جملة من المآزق سقطت فيها التيارات السياسية في البلدين في مساعيها لتسيير المرحلة الانتقالية.

الدراسة مبنية حول ثلاث مفردات رئيسة كما شرح المفكر ذلك في خاتمة عمله: الارتباك، المفارقة والمراجعات الكبرى. أما الارتباك فيرى أنه صفة ملازمة للفاعلين السياسيين الذين شاركوا في الثورات وأخذوا على عاتقهم بناء الأنظمة البديلة التي أسقطوها واستعمل المفكر مفهوم الذهول لوصف هذه الحالة بصورة أكثر دقة وبعضهم اعتبر الانفجارات الأولى مؤامرة ضد البلدان العربية قبل أن يلتحق بالمد الثوري: " نقرأ في الصور الرومانسية والمؤامراتية للحدث نوعا من الابتعاد عن الحدث في جريانه الفعلي، ذلك أن العناصر التي يبرزها المدافعون عن الطابع المؤمراتي الموجه إلى ما حصل ويحصل تغفل أن التداعيات التي تتبلور اليوم أمامنا، وإن كان يمكن أن تفهم في علاقتها بجوانب من الصراع الدولي على المنطقة العربية، و مقتضيات التعولم الجارية، ينبغي أن لا تقلل في نظرنا من شأن الفعل الذاتي، الذي أنجزه المتظاهرون والمحتجون في الساحات العمومية، داخل الحواضر والبوادي العربية، والذي تجمعه في الآن نفسه روابط وصلات عديدة مع كثير من شروط تاريخنا". (كمال عبد اللطيف، 2015، ص39)

يخصص المفكر المغربي في دراسته حيزا للإسلام السياسي الذي تمكن من اعتلاء سدة الحكم بعد الثورات محللا الأداء السياسي له ومبرزا الذهول الثاني والذي وضع له توصيف الذهول عن مقاصد الثورات. والفقرة التالية تشرح مكونات هذا الذهول: " تبرز المعالم الكبرى لهذا الذهول في نسيانهم السريع بأنهم وصلوا إلى سدة الأجهزة التنفيذية بعد انفجارات وحوادث تاريخية كبرى. كما تتمثل في عدم انتباههم على أنهم يقودون اليوم مرحلة انتقالية، يفترض أنها تمهد لولوج أبواب النظام الديمقراطي. وقد أدى بهم الذهول إلى إغفال أن الترتيبات التي جعلتهم في موقع القرار تندرج ضمن مطلب بناء برنامج انتقالي محدد، برنامج يناسب مرحلة ما بعد الثورة بمختلف تداعيتها، وخصوصا منها الجوانب التي تستدعي القيام بتهدئة الحراك الاجتماعي، ولملمة المخلفات التي تركها في المجتمع والدولة والمؤسسات الصانعة للاستقرار وتوازن المجتمع، إلا أن الذهول دفعهم إلى ركوب مسارات أخرى، فأصبح الاضطراب عنوانا بارزا في دروب الانتقال المعقدة". (كمال عبد اللطيف، 2015، ص44)

من الواضح أن كمال عبد اللطيف بتحليله لمفردة الارتباك كان يحلل في الوقت نفسه الوجه الاخر للارتباك وهو المفارقات التي أفرزتها المسارات المتوجهة نحو بناء الأنظمة البديلة، وأهم هذه المفارقات على الاطلاق هي توظيف الآليات الديمقراطية للوصول إلى الحكم وثم الانقلاب عليها بعد تسلم مقاليده وإرساء قواعد سياسية لا تبتعد كثيرا في طبيعتها عن القواعد السياسية التي ثارت الجماهير بسبب ظلمها.

وبين الارتباك والمفارقة يقترح المفكر مشروع المراجعة لما حصل ويحصل ويوظف المفهوم بصيغة الجمع وثم يلحق به صفة تؤشر بوضوح للورش العديدة والمعقدة التي يفترض أن يهتم بها كل الفاعلين السياسيين وعلى هذا اقترح مفهوم زمن المراجعات الكبرى، والفقرة التالية تبين شروط تحقيق ذلك: " نحن نفترض أن مهمة ترتيب برنامج الطور الانتقالي لا يمكن أن يكون إلا جماعيا، إنه برنامج يخص المجتمع في لحظة سعيه لتخطي آثار ما بعد الانفجارات، وبناء جسور العبور التي تهيئ للانتقال الديموقراطي. كما نفترض أن أزمنة ما بعد الثورات تعد بامتياز أزمنة التوافقات المرحلية المؤقتة". (كمال عبد اللطيف، 2015، ص45)

2.2.2. تعقيب:

استخلصت الدراسة العناصر التالية من عمل كمال عبد اللطيف:

– عنصر غياب القدرة على التنبؤ بقدوم الثورات مما يعزز الدور الريادي لجيل الشباب في صناعة الحدث الثوري ثم قيادته في مراحله الأولى. غياب التنبؤ كشف عن شرخ في الصفوف مبكرا من خلال خطاب المؤامرة والتخوين. وعليه، بذور الصراع كانت موجودة حتى في مرحلة التنسيق والعمل الجماعي ولم تتخلص بعض التيارات السياسية التي تحضن الأجيال من تمثلاتها تجاه بعضها مما يعزز فرضية الانصهار الظرفي والتكتيكي لصراع الأجيال تحت ضغط الظرف التاريخي وسحر الغاية.

– عنصر الانقلاب على الترتيبات الديموقراطية المتفق حولها جماعيا حينما وصلت بعض التيارات إلى سدة الحكم وهذا مؤشر كبير على عودة الصراع بقوة بعد أن هدأ بسبب البراجماتية التي اتسمت بها حركة الأجيال المشاركة في الثورة.

– عنصر المراجعة يتيح إعادة قراءة ما حصل ويحصل لتبين مظاهر خفوت صراع الأجيال ومعاودة الظهور بقوة على ضوء سياقات تاريخية بعينها يتوجب الوقوف عندها، تحليلا وفهما.

3.2. عمرو عثمان، مروة فكري: المثقف العربي ومتلازمة ميدان تيانانمن:

1.3.2. عرض الدراسة:

رجع الباحثان من خلال دراستهما إلى تاريخ 1989 وبالتحديد إلى الصين التي عاشت أكبر محاولة إصلاح للنظام الشيوعي منذ تأسيسه سنة 1949. ميدان تيانانمن في مدينة بيجين الصينية شهد حركة احتجاجية ثورية جعلت من ذلك الميدان مصدر إلهام للكثير من الحركات التواقة للديموقراطية بالرغم من أن تلك الحركة لم تكن ديمقراطية في طبيعتها كما بين الباحثان ذلك، يضاف إلى ذلك عدم توافر معلومات دقيقة حول قادة تلك الحركة وما هي الغايات الكامنة ورائها.

شرح الباحثان كيف انقسمت صفوف المناهضين للنظام الشيوعي لعقود إلى كتلتين: عملت الأولى من خلال نضالها على تحقيق الحريات وفرضها على السلط المتعاقبة دون المطالبة الفعلية بإرساء قواعد النظام الديموقراطي. أما الثانية فلم تكن تؤمن بنيل الحريات بغياب الوعاء الديمقراطي الحاضن لها.

هذا هو الاختلاف الجوهري بين التوجهين الذين مهما اختلفا فإنهما يتســـمان بالنخبوية المفرطة ويشـتركان في مسـألة ازدرائهما للشـرائح الاجتماعية الشـعبية البسـيطة وغير العارفة وعلى وجه الخصـوص الفلاحين.

وعليه، ميدان تيانانمن جســد الدرجة الســامية لهذا الازدراء حينما رفض الشــباب الثائر التحاق الفلاحين بصفوف المرابطين في الميدان ومنعوهم من الإسهام في الحراك بمسوغ أن الثورات لا يدرك دلالاتها ولا يعرف غاياتها إلا من كان من الطبقة العارفة.

من هذه المعاينة، اشتق الباحثان فرضية عامة اشتغلا عليها محاولين تبيان التشـابه الكبير بين من كان محتجا في ميدان تيانانمن، النخبوي والمزدري لجموع الجماهير البسيطة، والمثقف العربي في الوقت الراهن الذي أصـــيب بمتلازمة مضـــرة هي متلازمة ميدان تيانانمن: " يعاني المثقف العربي بصـــفة عامة (متلازمة تيانانمن) وهي المتلازمة التي تحدد علاقة المثقف بالديمقراطية، وترتبط بها "حزمة" من التصـورات تتعلق بنظرة المثقف إلى نفسه وإلى وضعه المجتمعي، وموقفه من جماهير الشعب والسلطة السياسية، إضافة إلى الأهداف التي سيسعى إليها". (عمرو عثمان ومروة فكري، 2016، ص19)

أنجز الباحثان تحليل مضـــمون بحق عدد من المقالات التي نشـــرها المثقفون العرب في دورية "الديمقراطية المصرية" في الفترة الممتدة بين سنتي 2000و 2014 وتوصلا إلى أن المثقفين العرب خاصة المعاصـرين منهم يحملون تصـورات نخبوية للفعل الديمقراطي وهم في ذلك يشـبهون قادة احتجاجات ميدان تيانانمن.

يعبرون عن ازدرائهم للطبقات الشــعبية ليس بنفس القوة والوضــوح، لكنهم يفعلون ذلك تلميحا وفي بعض الأحيان بشكل صريح.

المثقفون العرب في موقفهم من الديمقراطية إنما هم دوما مهمومون بهامش الحريات الذي يحتاجونه للتبشـــير بأفكارهم أكثر مما يطرحون فكرة تغيير أنظمة الحكم، الأمر الذي دفع بالكثير منهم إلى التحالف المعلن أو غير المعلن مع أنظمة قائمة أو مع التي تم إسقاطها.

هؤلاء يروجون ويؤمنون بالتغيير الذي يحصل في الأعلى ولا يثقون في رشادة الجماهير الشعبية لتحقيق ذلك التغيير. وبالتالي، مارسوا وصائية كبيرة على الطبقات الشعبية وقلة منهم من كان يدافع على تمكينها من ممارسة حقها في اختيار من يحكمها من خلال الآليات الديموقراطية المعروفة لأن الديمقراطية الشعبية بنظرهم ليست وسيلة إصلاح.

2.3.2. تعقيب:

استخلصت الدراسة العنصر التحليلي التالي من دراسة عمرو عثمان ومروة فكري:

– المثقفون –دون الذهاب إلى تحديد المفهوم– مصابون بمرض النخبوية في التفكير والممارسة وهذا ما يعرف على المثقفين العرب عموما. لكن الثورات العربية كشفت عن مثقفين ملتزمين بقضايا شعوبهم وأظهر حضورهم الدائم بين صفوف المتظاهرين والمحتجين في الميادين والشوارع نسبية الحكم عليهم بالنخبوية. من جهة أخرى العنصر هذا قاد الدراسة إلى تلك الكتابات النقدية التي كالت للجموع الثورية نقدا شديدا وخاصة ما تعلق بجيل الشباب الذي برز في تلك الكتابات كطرف سمح بالسطو على مكتسبات الثورة. هذا الأمر يجعلنا نفترض وجود صراع أجيال بعد أن كشفت الثورات عن بعض أسرارها.

3. مظاهر انصهار صراع الأجيال:

الثورات العربية التي انطلقت أغلبها من شرارات غير متوقعة، كان لها أثر كبير في التخفيف من وطأة الصراع الذي عاشت به وربما له الأجيال السياسية لعقود من الزمن قبل أن تفرض الثورات منطقها. افترضنا أن الثورات في بداياتها تسببت في انصهار الأطاريح المرتبطة بصراع الأجيال وفيما يلي نعرض اهم مظاهر هذا الانصهار.

1.3. الجغرافية كعامل جمع وتوحيد:

احتضنت الفضاءات المادية، من ميادين، شوارع، ساحات، حواضر وبوادي السيول البشرية التي صنعت حدث الثورات ولم تكن الجغرافيا عاملا تمييزيا يتيح في ذلك الوقت معرفة من حضر أكثر من غيره، من شغل ذلك الحيز حصريا واستأثر به لنفسه مظهرا ومدافعا عن أحقيته وشرعيته. مثل ميدان التحرير في قلب القاهرة وساحة الحرية في صنعاء لشهور عديدة، الجغرافيا الحاضنة لكل الأجيال وهي ملتفة حول غاية

واحدة هي إسقاط النظام المستبد. مع تطور الحراك ونضجه، تصرف الفاعلون في الفضاءات الحاضنة وشغل كل منهم حيزا ليس بهدف التقسيم والتوزيع ولكن بهدف دفع الصدام لو بقي الجميع في نفس الفضاء دون تنظيم.

2.3. وحدة اللحظة الجيلية:

تحدث كارل مانهايم في مؤلفه الجيل والسياسة عن اللحظة الجيلية ويعني بها لحظة بروز وتكون تجربة جماعية يعيشها جيل كامل تجعله متمايزا ومختلفا عن الأجيال الأخرى.

من منطلق ثورات الربيع العربي وانصهار أطروحة صراع الأجيال، يبدو من الصعب أن نلصق اللحظة الجيلية بجيل واحد على ضوء ما افترضناه بأن الأجيال توحدت ولو ظرفيا بهدف بلوغ هدف موحد هو إسقاط أنظمة الحكم المستبدة. وعليه، هذا المعطى السوسيولوجي يجعلنا نكيف مفهوم اللحظة الجيلية ونتعامل معه بالدلالة الجمعية ويتحول إلى: اللحظة الجيلية الجماعية والجامعة.

من الواضح واقعيا أن اللحظة الجيلية الجماعية والجامعة لا تلغي اللحظة الجيلية المفردة، فكل جيل أسهم في الثورة وأضفى عليها خصائص ما يمثله اجتماعيا، ثقافيا، اقتصاديا وسياسيا. لكن في آخر الأمر التجربة المعيشة جماعيا هي التي فرضت الدلالات والرمزيات الأقوى. (يمكن العودة إلى: أمينة قابو، 2017)

فمثلا، اللحظة الجيلية المفردة لجيل الشباب هو كونه كان سباقا إلى إشعال فتيل الثورات ممهدا لحراك عظيم كانت نتيجته مأمولة لكن غير متوقعة. وبالمثل، بعض الأحزاب السياسية العريقة قد ترى في اندلاع الثورات ومن ثم سقوط الأنظمة التي طالما واجهتها بالظلم والاستبداد، قد ترى في هذا تتويجا لكل نضالاتها وتضحياتها وهذا التتويج هو لحظتها الجيلية المفردة بالنظر إلى مكوناتها البشرية ومناضليها.

حضر الشباب، الأحزاب السياسية، الهيئات المنظمة والشعب العادي في الميادين، الساحات والشوارع لشهور حتى سقطت الأنظمة المستبدة، والكل شارك في الحدث الكبير من خلال مسارات شاقة، وبما ارتبط به من وعي، تمثلات وسقف توقعات. لكن هذا الكل أرجأ الإعلان عن خصوصياته وخصوصية

طموحاته ومطالبه إلى حين تحقيق الهدف الجامع، وهذا ما يمنح وضوحا لما وصفنا باللحظة الجيلية الجماعية والجامعة.

3.3. الإصرار على عفوية الحركات:

كان الشباب الثائر في الميادين والساحات، في تونس، مصر واليمن والمغرب على الأقل وعلى حسب اطلاعنا، يصر كثيرا على وصف حراكه بالحراك الذي وجهته العفوية بعيدا عن تأطير أية جهة سياسية معتمدة أم سرية. حضر خطاب العفوية في الشارع وفي التصريحات الإعلامية وكأن الشباب يحمي نفسه من تهمة محتملة دأبت الأنظمة المستبدة على توجيهها لكل حراك يطمح إلى مساءلة الأوضاع راميا إياه بالعمالة للخارج أو تخريب الشأن الداخلي أو تهديد الأمن القومي وغيرها.

تقاسمت الأحزاب السياسية والهيئات المهيكلة عفوية التحرك لإسقاط الأنظمة على الأقل في المراحل الأولى من قيام الثورات والتحقت بالحراك حال أن استوعبت اللحظة التاريخية المتاحة للتغيير وهي التي كادت أن تيأس من قدرتها على إرغام الأنظمة على، سواء القيام بإصلاحات جذرية أو القبول بمبدأ التداول على السلطة كمظهر سام لإقامة النظام الديمقراطي.

من الواضح في هذا الشأن أن خطاب العفوية كان لصيقا بجيل الشباب لأنه كان المؤطر الفعلي للأحداث في المراحل الأولى وما كان من خيار للأحزاب السياسية والمنظمات سوى مسايرة هذا الخطاب وهي تحت الذهول مما يحدث وهي خارج التأثير فيه. وعليه، التقت الأجيال السياسية عند منعطف عفوية الحركة فاتسعت الفجوة بين سقف المطالب والممكن بلوغه والتوقعات الشعبية من الثورة، وفي الحقيقة لم تبذل الأحزاب العريقة في النضال السياسي جهدا يذكر في تضييق الفجوة، بل بالعكس زادتها اتساعا.

ليس غريبا أن تخفت شحنة العفوية عند كل الفاعلين السياسيين الذين شاركوا في الثورات عند بروز العلامات الأولى المنذرة بسقوط وشيك لأنظمة تلك البلدان وأصبح التحرك بعد سقوطها تمليه الانتماءات الأيديولوجية والتمثلات تجاه النظام البديل.

العفوية كصفة رئيسة ألصقها الفاعلون السياسيون بالحراك الجماعي إضافة إلى كونها آلية لدرء مخاطر التهم الرسمية وما يتبعها من بطش وظلم، هي أيضا آلية للإعلان عن المواقف المستقلة غير القابلة

للاحتواء السياسي والتوظيف في معارك وجبهات لا تعني البتة من أسس للحراك ولا تتطابق غايته مع غاياتها.

في هذا السياق، يقترح عزمي بشارة دلالة لمفهوم العفوية مغايرة لما هو شائع ويبدو أنها الدلالة الأكثر تمفصلا مع واقع ليس فقط الثورة التونسية ولكن حتى مع كبريات الثورات في التاريخ الإنساني: "لم يجر التخطيط لثورة لقلب نظام الحكم في تونس. فقط بهذا المعنى كانت الثورة عفوية. وهذا الفهم للعفوية لا يخرج عن فهمنا حتى للثورات الكبرى في التاريخ". (عزمي بشارة، 2012، ص37)

ويكتب في فقرة أخرى توضيحا لهذا الفهم:" كان الرد على حرق محمد البوعزيزي لنفسه منظما من قبل ناشطين سياسيين، وتحويل الرد إلى انتفاضة عارمة كان أيضا منظما. وانضم الجمهور بالتدريج إلى هذه النواة السياسية المنظمة التي شملت ناشطين سياسيين حزبيين وغير حزبيين. وكون المنظمين ليسوا من قيادات الأحزاب والمشاهير لا يعني أن أعمال الاحتجاج كانت عفوية، هذا مع العلم أن بعضهم كان ناشطا حزبيا ونقابيا". (عزمي بشارة، 2012، ص38)

لا نملك معطيات قوية تجعلنا نصرح بأن العفوية التي لازمت الاحتجاجات أثناء ثورات الربيع العربي هي إفراز لعفوية مماثلة اتسمت بها ثورات الشعوب التي أسقطت العديد من الأنظمة وأجبرت أخرى على القيام بإصلاحات غيرت مشهد عدد من البلدان في الثمانينات من القرن الماضي.

لسنا بصدد إجراء مقارنات بين بلدان كانت تحت سلطة النظام الشيوعي وتأتمر بالاتحاد السوفيتي، وبين البلدان العربية التي عرفت مسارات تاريخية مغايرة تماما، لكن فرضية تأثر الحراك العربي بما حصل في أوروبا وفي أماكن أخرى تبقى فرضية صالحة لتتبع ظاهرة العفوية بالرغم من تباعد الفترتين نسبيا.

وجب التنويه إلى وجود أنموذج عربي للاحتجاجات شعبية عارمة أدت إلى إدخال التعددية الحزبية وتوسيع مجال الحريات، حدث في أواخر الثمانينات وكان قادة الحراك ومؤيديه يعلنون باستمرار عفوية الحراك في مواجهة التهم التي كانت توجه لهم، وهذا الأنموذج هو ما يعرف بأحداث الخامس من أكتوبر من عام 1988، الجزائر. (قاد الجيل الثالث–حسب توصيف ناصر جابي–هذه الاحتجاجات وعمت الجزائر

كافة ولازال الجدل يلفها هل كانت عفوية أم موجهة سياسيا كرد فعل للسياسات التي كان ينتهجها نظام الشاذلي بن جديد آنذاك)

لكن قبل الاحتجاجات في أوروبا وقبل الأنموذج الجزائري، يغلب المفكر العربي عزمي بشـــارة في كتابه حول الثورة المصـــرية، الجزء الأول، يغلب العامل التراكمي الداخلي من خلال عرض مفصـــل يقف مطولا عند التفاصيل الدقيقة لمختلف الاحتجاجات التي وقعت في المرحلة الأخيرة من عهد حسني مبارك والتي قادتها حركات جمعت مختلف الأطياف الســـياســـية الفاعلة في المجتمع كحركة "كفاية" وغيرها. هذه الحركات طرحت قضـية إدماج المطالبات السـياسـية والاجتماعية في الحراك العام الموجه نحو دعم القضـية الفلسـطينية. حركات شـعرت بالتوظيف السـياسـي من لدن النظام القائم والاسـتفادة منه، فطرحت فكرة إصلاح الداخل كشرط حيوي لدعم القضية الفلسطينية. كما أرجع عزمي بشارة حراك ثورة 25 يناير إلى تلك الاحتجاجات الأولى التي دعمت الانتفاضـة الثانية سـنة2000 مسـتدلا على ذلك بالشـهادات التي أدلى بها الكثير من قادة احتجاجات ثورة يناير والذين أكدوا فيها أن نضـالهم في دعم القضـية الفلسـطينية لسنوات عديدة هو ما قادهم إلى حالة الانفجارات التي عصفت بالنظام المستبد.

وأخيرا، خصـــص عزمي بشـــارة حيزا كبيرا للاحتجاجات الفئوية التي عرفتها مصـــر ووضـــع احتجاجات القضاة على رأسها من حيث الأهمية لأنها تؤشر على وجود أزمة عميقة في مؤسسات الدولة. هذه الاحتجاجات الفئوية هي أيضا اتسمت بالعفوية ومهدت على ضوء تحليل عزمي بشارة لشرارة الثورة المصرية.

العرض المفصـــل والدقيق لعزمي بشـــارة وإن ســـاعدنا على فهم البعد التراكمي لعفوية الحركات الاحتجاجية من حيث أنها تفلت للتأطير الســـياســـي الرسمي لأغلبها، فإنه يســـقط على الانفجارات التي وصـــفناها بغير المتوقعة، دلالات التدرج والمرحلية المؤديان إلى مرحلة الاحتقان العام ثم الشـــرارة التي تلهب المشهد كله. (يمكن العودة إلى: عزمي بشارة، 2016)

كان خطاب العفوية الذي صـــاحب قيام ثورات الربيع العربي محل نقد كبير من طرف ثلة من المفكرين العرب ورأوا فيه اعترافا بنقص الوعي الضـــروري للقيام بالثورات واختزالا ظالما لماهية الثورة وكيفية

التخطيط لها وانجاحها. الثورة كما بين الموقف النقدي ليس الانتقال من حالة إلى أخرى فحسب، لكن هي إحداث تغيير عميق في البنى المجتمعية وهذا ما لم يحققه حراك الأجيال المختلفة التي توهمت بأنها أسقطت الأنظمة وتبين بعد حين بأن ما سقط هي السلط فحسب وبالتالي سرعان ما تعافت الأنظمة وعادت إلى سدة الحكم بأوجه أخرى بترتيبات تتوشح الديمقراطية تارة(تونس) وبمسوغ تصحيح مسار الثورة(مصر) تارة أخرى.

4.3. توافقية في الفكر والممارسة:

ما كان لوهج أطروحة صراع الأجيال لأن يخفت في فترة ثورات الربيع العربي-إضافة إلى ما ذكر في العناصر السابقة-لولا التأثير الذي خلفه بروز حراك فكري وفاقي في تسعينيات القرن الماضي معلنا" عن مشروع التأسيس النظري لمرحلة جديدة تتحول فيها ما سميت "تيارات الأمة" (التيار القومي، التيار الإسلامي، التيار اليساري الماركسي والتيار الليبرالي) إلى تيارات متقاربة أو متحالفة حول هدف التغيير الإيجابي في الوطن العربي ومواجهة معوقاته(الأنظمة السائدة والاستعمار والصهيونية)، بدلا من وضعية الصراع المدمر بين هذه التيارات حول ماهية هذا التغيير وسبل تحقيقه، التي سادت بصفة خاصة في أواسط القرن العشرين". (سهيل الحبيب، 2017، ص73)

حصل الاتفاق حول عنصر المفاجأة في اندلاع الثورات والذي لم تتنبأ به تلك التيارات، لكنها سرعان ما استدركت الأمر وانغمست في الحراك الشعبي الزاحف محاولة تأطير الحشود وفق تصوراتها تجاه التغيير الثوري مع تفادي الصدام لذي قد تشعله كذا وضعيات مع من كان يحمل أيديولوجية مختلفة.

و بالرغم من الوفاق الظاهر في المراحل الأولى من اندلاع الثورات، يقدم أحد المنظرين للحراك الفكري الوفاقي، المفكر المغربي عبد الإله بلقزيز نقدا ثقيلا للحراك الشعبي الكبير من بوابة غياب الوعي السياسي والتنظيم، الأمر الذي يعاكس ما افترضناه أعلاه: " لكن الذي ينبغي عدم تجاهله، في الوقت عينه، أن تحقق تلك الشروط التحتية الموضوعية للتغيير نحو البناء الديموقراطي وإرساء قواعد العدالة، لا يكفي إن لم تتهيأ للحركة الاجتماعية شروطها الذاتية من وعي سياسي ومن تنظيم محكم لحراكها". (عبد الإله بلقزيز، 2017، ص22)

4. أطروحة صراع الأجيال بين لحظتي الأمل والانكسار:

عرفت البلدان العربية التي خبرت ثورات الربيع العربي حالتين متناقضتين في غضون سنين معدودات: حالة أولى من التفاؤل بعد سقوط عدد من أنظمة الحكم، وحالة ثانية عادت بالجميع نحو الخيبة والانكسار الحاضرين في مشهد البلدان العربية قبل الثورات.

تصدى الكثير من المهتمين والمتتبعين لهذا الانتقال بالتفكير والتحليل وتكاد تجمع التحليلات على عاملين أساسيين مفسران لما حصل، عامل نفسي وأخر ثقافي.

1.4. العامل النفسي.

بعد سقوط نظام زين العابدين بن علي في تونس 2011، شعرت الشعوب العربية بنشوة عظيمة أقنعتها بأنها انتقلت إلى مرحلة كل شيء فيها أضحى ممكن التحقيق بعدما عاشت لعقود من الزمن تعيش دوما حالة المحال المستمر ولا ترى سبيلا للتغيير وإن فكرت فيه فعلت ذلك بكثير من التردد والارتياب في النجاح.

التغيير كما أبرزته الدراسات والبحوث التي ظهرت في هذه الفترة، كان تغييرا على المستوى النفسي بشكل أساسي مما أثر بصورة ملفتة على الطموحات والمطالب المعبر عنها أثناء الثورات، وتحول الإنسان العربي إلى إنسان يؤمن بقدرته على تحقيق ونيل ما يصبو إليه في ظرف وجيز ويرى في حراكه فرصة حقيقية لبلوغ الديمقراطية وإرساء قواعدها.

ما إن سقطت الأنظمة المستبدة حتى واجهت الجماهير الثائرة والفاعلين السياسيين باختلاف مشاربهم وأطيافهم، سؤال كبير تعقيداته شديدة: ماذا بعد؟

اكتشفت عند هذا الحد الفاصل، الحركات الشبابية والأحزاب السياسية التحديات العظام المتحتم التعامل معها والعمل على تجاوزها ووقف الجميع على صعوبة إيجاد توليفة منصفة تنقل مخرجات الثورات إلى بر الآمان. هذه الأوضاع أفرزت تشنجات وتجاذبات هائلة بين الأطراف المشاركة في المد الثوري والتي تقع على عاتقها مسؤولية تسيير المرحلة الانتقالية، في ظل اتساع رقعة المطلبية المجتمعية واقتصاديات منهارة تقريبا مما عطل وتيرة التغيير المنشودة وأربك عوامل التنمية بشكل خطير للغاية.

هذا الوضع أثر كثيرا على المزاج العام فشرع الإنسان العربي يطرح أسئلة تكشف طبيعة ما كان يعيشه نفسيا: ما الجدوى من هذه الثورات إذا كانت مآلاتها تختصر في الزج به في متاهات معيشية لا حصر لها ولا قبل له بها؟ أليس الأوضاع التي كان يعيش فيها في كنف الأنظمة التي أسقطت أفضل بكثير من الأوضاع التي أفرزتها الثورات خاصة على مستوى الأمن الاجتماعي؟

ازدادت الخيبة ودرجة الانكسار بعودة الأنظمة البائدة إلى سدة الحكم بعد سنوات قليلة ومن خلال آليات ديموقراطية تارة، وبالانقلاب الناعم عن الشرعية السياسية وبتوظيف الإرادة الشعبية تارة أخرى.

2.4. العامل الثقافي:

طفت على سطح ثورات الربيع العربي مسألة الثقافة السياسية التي أطرت ووجهت الحركات الشبابية والأحزاب السياسية والتي اتسمت برأي الكثير من المحللين بسمات تكشف ضعفها وعدم نضجها تصوريا وتنفيذيا.

اعتمدت الحركات هذه آليات رفع سقف المطالب مما سحب معه رفع سقف التوقعات لدى القواعد الشعبية دون النظر بجدية إلى ما توافر من إمكانات واقعية لبلوغ ذلك السقف العالي من المطالب.

وظفت التعبئة وآلية الحشود العظيمة في الضغط على السلط القائمة وإرغامها على التراجع ثم الانسحاب مع تدعيم ذلك بجملة من الشعارات حلت في الأخير محل برامج حقيقية مفكر فيها قبليا تحضيرا لمرحلة ما بعد الثورات.

ثقافة سياسية كشفت غياب تصورات واعية بماهية التغيير والتغيير الثوري واختزلت الثورات في تحقيق هدف واحد هو الإطاحة بالأنظمة القائمة واستبدالها بأنظمة أخرى وتبين في مراحل تالية سقوط السلط وبقاء الأنظمة ببناها العميقة التي لم تطلها الثورات.

ثقافة سياسية تجاهلت التحديد الصارم لمفهوم الثورة وما ارتبط به من مفاهيم داعمة ولم يهتم بالحدث الثوري كمسعى شامل غايته إحداث التغييرات العميقة في البنى السياسية، الاجتماعية والاقتصادية

بما يتســـق والســـياق الزمني، وبالتالي تحولت الثورة كما بينت التحليلات إلى مســـعى يحجم التمثلات والتضحيات.

وأخيرا، الثقافة السياسية بمكونات التعبئة الشعبية، الحشود العظيمة والشعارات، صاحبتها ضبابية في الرؤية بحق مســـألة تحييد القوى الأمنية، من جيش وأجهزة أمنية مختلفة، الرؤية التي جعلت الحراك يدرج هذه الأجهزة ضـــمن قائمة الأطراف التي يجب الدخول معها في مواجهة مباشـــرة مما أنجر عنه في الأخير مئات من الضحايا.

5. مظاهر عودة صراع الأجيال بعد سقوط الأنظمة:

كما أسلفنا، ما إن سقطت الأنظمة المستبدة حتى واجه الفاعلون السياسيون بمختلف مشاربهم ســؤال ماذا بعد؟ فدب الخلاف حول الترتيبات الانتقالية وهي من صــلب المرحلة، لكن أيضــا طفت إلى السطح من جديد جل المكونات الصراعية التي اتسمت بها علاقات الأجيال في المراحل السابقة للثورات.

نقدم فيما يلي جملة المظاهر المجســدة لعودة صــراع الأجيال بعد إســقاط أنظمة الحكم في البلدان العربية التي خبرت الثورات الشعبية.

1.5. إزاحة جيل الشباب من مسار البناء الديموقراطي:

إزاحة جيل الشـباب كلية من مسـار البناء الديموقراطي من طرف الأجيال السـياسـية الأخرى ولم يراع في ذلك كونه الجيل الذي فجر الثورات ومهد لإســقاط الأنظمة بنشــاطه الدؤوب وتأطيره للحشــود الكبيرة في المراحل الأولى وهو الذي فكر في الشــعارات المرافقة للاعتصــامات والمســيرات والاحتجاجات وجعلها جامعة وليســـت مفرقة. جيل متهم دوما بنقص وعيه الســـياســـي لأنه يفلت للانتماءات الحزبية ويمارس السياسة خارج أطر المؤسسات السياسية الرسمية.

هذا الأمر يســـتحضـــر التهم الموجهة للعفوية والتي إن سمحت لجيل الشـــباب بحضـــور مرحلة الانفجارات بشـــكل مؤثر، فلا يجب أن تغدو مقدســـة إلى الحد الذي تتحول فيه إلى مقوم من مقومات الممارسة السياسية.

2.5. الانقلاب على الآليات الديموقراطية:

صاحبت إزاحة جيل الشباب إزاحة ثانية لأجيال سياسية أخرى حينما اعتلى الإسلام السياسي سدة الحكم بآليات ديموقراطية واتجه نحو تسيير المرحلة الانتقالية بصورة انفرادية مستخدما دوما حجة حصوله على الأغلبية المريحة في الانتخابات. كانت صياغة الدساتير الجديدة المرحلة الأبرز في تأجج الصراع حول مسائل تقليدية مثل مكانة الدين في المشهد السياسي ومسائل جديدة أفرزتها الأوضاع المستجدة مثل إقامة الدولة المدنية.

وفي هذا السياق يكتب عزمي بشارة حول الدستور المصري الجديد بعد سقوط نظام حسني مبارك: " على الرغم من فتح النقاشات للإعلام ومشاركة ممثلي قطاعات واسعة من الشعب في النقاشات، ومناقشة البنود بمسؤولية وإخلاص من عدد من أعضاء الجمعية، جرت عملية وضع الدستور في الجمعية التأسيسية في أجواء من الاستقطاب السياسي اتخذ طابعا هوياتيا وصراعا حزبيا، أكان ذلك في الفضاء العمومي أم في الجمعية التأسيسية ذاتها، أم بالانسحابات منها، ما أنتج ميل النصوص التلفيقي إلى استرضاء الكتلة الإسلامية الكبيرة في الجمعية الدستورية من ناحية، واسترضاء القوى الليبرالية واليسارية والقومية من ناحية أخرى". (عزمي بشارة، 2016، 282)

3.5. عودة الانتهاز السياسي:

في الوقت الذي كان جيل الشباب يفكر في كيفيات مشاركته في ترتيبات البناء الديموقراطي بعد سقوط الأنظمة المستبدة، كانت النخب السياسية المحنكة والذائبة في الأجيال السياسية المختلفة تتفاوض سرا أو على المكشوف مع بقايا تلك الأنظمة مما جعل الانتهاز السياسي يعود إلى واجهة الأحداث بعد فترة انكماش، الأمر الذي كشف أولا قبل كل شيء قلة خبرة جيل الشباب في توجيه المسار بما كانت تمليه المطالب الشعبية المعبر عنها والتي أطرها بشجاعة نادرة وقدم من أجلها تضحيات جسام. لكن جيل الشباب أو على الأقل أطياف منه وكرد فعل تحوم حوله شبهات وكثر حوله الجدل، انقلب على الشرعية التي أفرزتها انتخابات نزيهة في مصر وأسهم بالإطاحة بها.

يفسر عزمي بشارة الأمر هذا في مقطع يلخص موقفه مما جرى من خلال تأسيس حركة "تمرد" الشبابية: " برزت حركة "تمرد" وأضافت إلى جبهة الإنقاذ حراكا تشبه هيئته الخارجية خطاب ثورة يناير المطالب بالتغيير الواسع، والمعتمد على شرعية الميادين التي أسست آنذاك. لكنها كانت، في حقيقتها، تدعو إلى الانقلاب على مسار التحول الذي أطلقته ثورة 25 يناير. كان المطلب المعلن هو تقديم موعد الانتخابات الرئاسية، لكن كثيرا من القوى القديمة التي احتشدت وأيدتها، معززة قدرة الحراك الشعبي على إطاحة الرئيس المنتخب، لم يكن مهتما بتقديم موعد الانتخابات، بل بإحكام سيطرته على البلاد ووقف عملية التحول الديموقراطي. أراد بعض القوى في صفوف حركة" تمرد" العودة إلى مبادئ الثورة، ولام الإسلاميين على أسلوبهم في الحكم وتخليهم عن الثورة، بينما أرادت قوى أخرى القضاء على ثورة يناير، فاستثمرت في الضجر من الثورة و"الفوضى" والخوف من عدم الاستقرار استثمارا جماهيريا". (عزمي بشارة، 2016، 353)

4.5. لغة الصراع الجيلي:

ظهرت اللغة في المرحلة الانتقالية رافدا مهما لعودة صراع الأجيال فحضرت مفردات وتوصيفات جديدة استخدمتها الأجيال بحق بعضها للإعلان عن مواقفها الصريحة من الأشخاص والأحداث والعمل السياسي عموما.

برزت بشكل حاد وأكبر من ذي قبل ملفوظات التخوين والتكفير وعرفت رواجا في خطاب السياسيين ومراكز التواصل الاجتماعي. أعتمد معيار الخير والشر في تقييم الأداء السياسي وفي تصنيف الناس وكثر الحديث حول ثنائية بلاد الإسلام وبلاد الكفرة. كما انتشرت ملفوظة " الفلول" لتشير إلى كل من كان طرفا في العملية السياسية تحت ظل النظام البائد (حالة مصر).

5.5. انخراط جيل الشباب في العنف المسلح.

أفرزت ثورات الربيع العربي معطى مدمرا للمجتمعات العربية ونعتبره في الوقت نفسه من مظاهر عودة صراع الأجيال هو انخراط جيل الشباب في العمل المسلح على نطاق واسع ضد السلط السياسية قيد التجربة بعد أن مارسه لإسقاط الأنظمة. جيل الشباب الذي وقف بمرارة على حقيقة إزاحته من المشاركة

السياسية، انغمس في عنف لا نظير له لاسترداد حق يراه مسلوبا منه. وفي هذا السياق، بعض التحليلات تذهب إلى أن جيل الشباب بسقف المطالب التي أطرها في مرحلة الانفجارات خلق الظروف الموضوعية لوضعية العنف.

العنف المسلح كشف الاصطفافات التي كانت موجودة وعززها أكثر مع بهارات جديدة تبتغي النيل من أسس الدولة وتدمير البناءات الاجتماعية ومثلها الاستقواء بالخارج وتقديمه كحل وهو الذي كان ينظر إليه لعقود كجزء من المشكلة، إن لم يكن هو المشكلة.

6. خاتمة:

هذه الدراسة بالفرضية المعتمدة والمنهجية المسطرة، تبين بوضوح أنها دراسة لا تندرج كلية في خانة الدراسات الصرفة المهتمة بثورات الربيع العربي كما هي مألوفة عند شرائح عريضة من المهتمين، وبالمثل هي دراسة لا تندرج كلية في الدراسات الشائعة حول أطروحة صراع الأجيال. بل هي دراسة تأخذ ملامحها من الأمرين معا لتستنبت زاوية بحثية لا تزال في طورها الجنيني المرشح للنضج بمزيد من الحفر في الموضوع.

القراءة المتأنية لأدبيات ثورات الربيع العربي والتحول الديمقراطي في العالم العربي، مكنتنا من بلوغ مجموعة من الاستنتاجات وهي:

أولا: شواهد امبريقية عديدة وتحليلات نظرية تؤكد انصهار أطروحة صراع الأجيال ظرفيا في المراحل الأولى من الثورات وعودتها بمظاهرها التقليدية ومظاهر مستجدة في مرحلة البناء الديموقراطي مباشرة بعد سقوط الأنظمة.

ثانيا: جيل الشباب حسب التحليلات المختلفة لم يكن في مقدوره مجابهة الأجيال السياسية الأخرى التي تفوقه خبرة فاستثمرت في نقص النضج لديه وسيرت المرحلة الانتقالية المؤدية إلى إقامة الأنظمة البديلة بما يتسق وأيديولوجياتها المعلنة وبما يخدم مصالحها الاستراتيجية، مزيحة جيل الشباب من المشهد.

ثالثا: شكل الانقلاب على آليات الديموقراطية باعتلاء السلطة أحد صور عودة الصراع بين الأجيال وخاصة حينما انفرد الإسلام السياسي بترتيب أمور نظام الحكم فرديا مستفيدا من الأغلبية البرلمانية.

رابعا: انفجرت دائرة صـراع الأجيال التقليدية واتسـعت لتحتوي مظاهر جديدة كلها خطر ليس على السلط وأنظمة الحكم فحسب، بل أصبحت تهدد كيان الدول بأكملها حينما انتشر العنف المسلح والاستقواء بالخارج لإزاحة الأنظمة القائمة.

نتصـور أن هذه الدراسـة الأولية قد تتعزز لو أولت مسـتقبلا أهمية لجملة من القضـايا تكون على رأســها العودة إلى الشــهادات الحية التي ظهرت على القنوات التلفزية العربية وخاصــة ما بثته قناة الجزيرة القطرية لقادة ميدانيين أطروا الاحتجاجات وشــاركوا بعد ذلك في الدروب الوعرة لبناء قواعد الديموقراطية. تتعزز الدراسة في المقام الثاني بتدعيم الأطر المعرفية التي من شأنها توسيع المجالات التي تهتم بها الدراسة دون الإخلال بالبنية المتكاملة للتصـور البحثي. ونتصـور أيضـا ضـرورة التحديد الصـارم للمفاهيم الحاضـرة في الدراسة حتى لا تتيه في مسارات متعددة وقد تكون متصادمة بهلامية المفاهيم المعتمدة.

فهذه الدراســة التي أنجزنا على تواضــعها، أكدت جدوى وأهمية إيلاء الاهتمام لمســألة الروابط القائمة بين الأجيال في سياقات زمانية غير اعتيادية في المسارات المجتمعية العربية والثورة كلحظة مفصلية في تاريخ المجتمعات العربية كفيلة بأن تمد الباحثين بعناصــر تفكير وتحليل قد تثري رؤاهم في أطروحة صــراع الأجيال.

القراءات التي اعتمدناها في إنجاز الدراســة نبهتنا إلى وجود دروب أخرى في البحث تعزز ما أنجز وهي تحتاج إلى مزيد من استعمال العقل والحفر.

الحفر في الموضـوع كما نراه وقد أنهينا الدراسـة، قد يقتضـي مثلا العودة إلى الشـهادات الحية التي أدلى بها مختلف الفاعلين السـياسـيين يؤرخون بها الأحداث وعلى رأس تلك الشـهادات ما بثته قناة الجزيرة القطرية. الحفر أيضــا كما نراه قد يقتضــي جدية أكبر وصــرامة في توظيف الأطر المعرفية في عمل لا يزال جنينيا من الزاوية التي اقترحناها.

نفترض أن صــراع الأجيال ســيتســم بســمات إضــافية تمليها الظروف المتحولة التي يمر بها البناء الديمقراطي العســير الذي تشــهده البلدان العربية التي خبرت الثورات أو حتى التي تحاول الاســتفادة من دروسها عن بعد.

7. قائمة المراجع:

1- أمينة، قابو (2017)، الصدام القائم بين السلطة المركزية وجيل الشباب حول استغلال الفضاء العام، دراسة غير منشورة شاركت بها في المؤتمر الثالث للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية، بيروت.

2- سهيل، الحبيب (2017)، الأزمة الأيديولوجية العربية وفاعليتها في مآزق مسارات الانتقال الديموقراطي ومآلاتها، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.

3- عبد الإله، بلقزيز (2017)، ما بعد الربيع العربي، المركز الثقافي للكتاب، المغرب.

4- عزمي، بشارة (2012)، الثورة التونسية المجيدة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.

5- عزمي، بشارة (2016)، ثورة مصر، الجزء الأول، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.

6- عمرو، عثمان؛ مروة، فكري (2016)، المثقف العربي ومتلازمة ميدان تيانانمن، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.

7- كمال، عبد اللطيف (2015)، "ما بعد الثورات العربية: زمن المراجعات الكبرى" في، أطوار التاريخ الانتقالي مآل الثورات العربية، مجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراية السياسات، بيروت.

8- ناصر، جابي (2012)، "مأزق الانتقال السياسي في الجزائر: ثلاثة أجيال وسيناريوهان" في، لماذا تأخر الربيع الجزائري؟، دار الشهاب، الجزائر.